الامبراطور تراجان في القرن الثاني للميلاد (٩٨ ـ ١١٧م) · وحين اعلنت المسيحية تحديها للديانات القديمة في الامبراطورية قام الكتاب اليونان واللاتين يحاربون الدين الجديد ويدعون الناس للتمسك بالاديان القديمة التي تقترن بالامجاد الماضية لتاريخهم القومي ، وتعتبر رموز للسلطة الامبراطورية ، وقد بدت بعض مظاهر الدين الجديد غريبة على الفكر الروماني اليوناني ، ولكن جهود بولس والآباء المسيحيين الاوائل اعطت المسيحية شكلا هيلنيا جعلها ملائمة للانتشار ومقبولة لدى الرومان واليونان · وقد عملت ظروف عدة لصالح المسيحية ولكن كان على اتباعها الاوائل ان يتعرضوا لنار الاضطهاد قبل ان يتأكد لها النصر · (٣)

كانت فلسطين اذن مقر النبتة الاولى للديانة المسيحية · وبينما كان هذا الدين الجديد ينطلق منها الى شتى انحاء الامبراطورية والعالم ، كانت ارض فلسطين تشهد تجربة الحكم الروماني فيها · وقد حاول هذا الحكم ان يصبغها بالصبغة الهلينية الرومانية على مدى الحقبة الزمنية التي دام فيها من عام ٦٤ ق·م· الى عام ٣٢٣ م· وذلك ان الرومان ـ وهم من الهنود الاوربيين ـ كانوا الوحيدين من بين شعوب البحر المتوسط الذين تقبلوا بسهولة حضارة اقربائهم اليونانية ، بينما يلاحظ ان اكثرية سكان آسية الغربية وشمال افريقيا ـ اي منطقة الوطن العربي ـ وهم من الساميين والحاميين ، كانوا ينظرون الى تلك الحضارة كحضارة غريبة مفروضة عليهم من الاجانب · وقد اسبغ الحكم الروماني حمايته على مراكز الهيلنية في فلسطين وسوريا عموما ، فاستمرت الحياة في هذه المراكز كما كانت ابان الحكم اليوناني ، وتبنت السلالات المحلية التي سمح لها الرومان بالبقاء على هذه الحياة ، ومنهم سلالة هيرودس باليهودية في فلسطين والحارث في البتراء ، واذينه في تدمر ، واحتفظت الجماعات المحلية بفلسطين بديانتها ولغتها وعاداتها الخاصة ، ولم يفرض عليها نظام الولايات الروماني سوى قيود قليلة على ممارسة استقلالها الذاتي ، وقد اخذ الرومان على عاتقهم مسئولية حمايتها واخذ الجزية منها ، وعينوا لها حكاما من الرومان · فاما الجماعات الارامية في الداخل فاستمرت تسيطر على شؤونها الداخلية كما سبق ، وعلى حدود الصحراء حيث كان طراز المعيشة البدوي لا يزال سائدا كانت القبيلة هي الوحدة الاجتماعية ، واتبع النظام القبلي في الادارة · وفي اليهودية اصبح الكاهن الاعظم رئيسا للطائفة بعد ان فقد لقب الملك ، وكانت الارستقراطية اليهودية هي التي تعينه ، واظهرت رومة طيلة حكمها شيئا كثيرا من التسامح تجاه هذا التنوع ، واحتفظت المستعمرات اليونانية بحكامها الذين كان يتبعهم مجلس للشيوخ ومجلس شعبي ·

وتكلم غالبية سكان فلسطين في تلك الفترة اللغة الارامية بعد ان تبناها العرب سواء منهم الايتوريون الاقوياء في الشمال او الادوميون الذين تهودوا